

أضواء البيان

@ 446 @ .

وقال تعالى في أول سورة الملك : { الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ
لِيَبْدِئَ الْوَكُومَ أَيْيُكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا } . .
وقال تعالى في أول سورة الكهف : { إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً
لَّهَا لِنَبْدِئَ الْوَهْمَ أَيْيُهَا أَيْيُكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا } . .
فتصريحه جل وعلا في هذه الآيات المذكورة بأن حكمة خلقه للخلق ، هي ابتلاؤهم أيهم أحسن
عملاً ، يفسر قوله { لِيَبْدِئَ الْوَكُومَ } . وخير ما يفسر به القرآن القرآن . .
ومعلوم أن نتيجة العمل المقصود منه لا تتم إلا بجزاء المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ،
ولذا صرح تعالى بأن حكمة خلقهم أولاً وبعثهم ثانياً ، هو جزاء المحسن بإحسانه والمسيء
بإساءته ، وذلك في قوله تعالى في أول يونس : { إِنَّا نَبْدِئُ الْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
يَكْفُرُونَ } ، وقوله في النجم : { وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ
أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى } . .
وقد أنكر تعالى على الإنسان حسبانته ووطنه أنه يترك سدى ، أي مهملاً ، لم يؤمر ولم ينه ،
وبين أنه ما نقله من طور إلى طور حتى أوجده إلا ليعثه بعد الموت أي ويجازيه على عمله ،
قال تعالى : { أَلَيْحَسَبُّ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّنْ
مَّنًى يُمْنَى } إلى قوله { أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ
الْمَوْتَى } . .
والبراهين على البعث دالة على الجزاء ، وقد نزه تعالى نفسه عن هذا الظن الذي ظنه
الكفار به تعالى ، وهو أنه لا يبعث الخلق ولا يجازيهم منكرات ذلك عليهم في قوله : {
أَفَحَسِبْتُمْ أَن نَّزَمَّ مَا خَلَقْنَاكُمْ عَدْتِثًا وَأَن نَّزَكُّكُمْ إِلَّا لِيَبْدَأَ لَ تَرْجِعُونَا
فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
الْكَرِيمِ } . .
وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في أول سورة الأحقاف في الكلام على قوله تعالى : { مَا
خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ

مُسَمَّى { . .

تنبيه .

اعلم أن الآيات الدالة على حكمة خلق السماوات والأرض وأهلها وما بينهما